القراءات السبعة بين القبول والرفض

م.م. عماد كاظم مانع

جامعة شهيد تشمران جمران / أهواز

The seven readings between acceptance and rejection

Asst.Lect. Emad Kazem Manea

Shahid Chamran Chamran University, Ahvaz

Email: Imadkadhim1979@gmail.com

ملخص البحث

إنّ مسألة ثبوت القراءات السبعة ، وتفسيرها بالمعنى الصحيح ، قد وقع فيه الخلاف بين السنة والشيعة فضلا عن السنة أنفسهم ، إذ نجد فيها أقوالا وتفسيرات متعددة من مثل قولهم : بالملازمة بين روايات عرض القرآن والقراءات التي يترتب عليها صحة القراءات السبعة، ولكن عند البحث والتدقيق فيها لا نجد لها سندا وأصلا عند الامامية ؛ وإنّ موقف الشيعة من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بما فسره أهل السنة غير صحيح ، وإنّ المشهور إنّها لهجات القبائل ، والأحاديث التي اعتمد عليها العامة مضطربة ومتناقضة فضلا عن ضعف سندها.

الكلمات المفتاحية : القراءات السبعة، السنة،الشيعة.

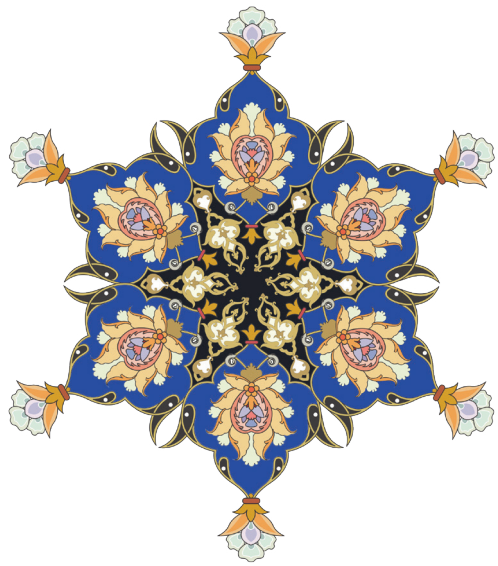

Abstract

"The Seven Readings between Acceptance and Rejection"

The issue of proving the seven recitations and their interpretation in the correct sense occurred in the dispute between the Sunnis and the Shi'ites in addition to the Sunnis themselves as we find in these recitations multiple sayings and interpretations as they said the correlation between the narrations of the presentation of the Qur'an and the readings that result in the validity of the seven readings but when examining and scrutinizing them we do not find them at all with the Imamate and that the position of the Shi'ites regarding the Hadith of the revelation of the Qur'an in seven letters as interpreted by the Sunnis is not correct and that the well-known is that they are dialects and the Hadiths that the public relied on are confused and contradictory in addition to their weak evidence.

Keywords: the seven recitations, Sunnis, Shiites.

مقدمة

إنّ مسألة ثبوت القراءات السبعة وتفسيرها بالمعنى الصحيح ، من المسائل التي وقع فيه الخلاف بين السنة والشيعة فضلا عن السنة أنفسهم اذ نجد فيها أقوالا وتفسيرات متعددة فقد قالوا بالملازمة بين روايات عرض القرآن والقراءات والتي يترتب عليها صحة القراءات السبعة، ولكن عند البحث والتدقيق فيها لا نجد لها أصلا عند الامامية إلاّ قولا شاذا ذكره الاستاذ الشيخ ابو عبد الله بن الميرزا نصر الله الزنجاني في كتابه تاريخ القرآن ، وسيتضح عبر البحث أنّه لا ملازمة بين تواتر القرآن وعدم تواتر القراءات؛ وإنّ تفسير القراءات ليس بالمعنى المقصود عند اهل السنة بل هي لهجات عربية مختلفة أو بمعنى البطون ، وهذا ما سوف يتبين البحث والتدقيق ولوجود الاختلاف في الآراء حول القراءات السبع المشهورة بين الناس، حيث ذهب جمع من علماء أهل السنة إلى تواترها عن النبيﷺ وربما ينسب هذا القول إلى المشهور بينهم[١]، ونقل عن السبكي القول بتواتر القراءات العشر[٢] وأفرط بعضهم بتكفير من لا يقول بتواتر القراءات السبع، وقد نسب هذا الرأي إلى مفتي البلاد الأندلسية أبي سعيد فرج ابن لب[٣].

والمعروف عند الشيعة أن هذه القراءات غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد[٤]، واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. وغير بعيد أنْ يكون هذا هو المشهور بينهم، وهذا القول هو الصحيح. ولتحقيق هذه النتيجة لا بد لنا من ذكر أمرين :

الأول : قد اتفق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أنّ ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر . واستدل كثير من علماء السنة والشيعة على ذلك : بأنّ القرآن تتوافر الدواعي لنقله؛ لأنّه الأساس للدين الاسلامي، والمعجز الإلهي لدعوة نبي المسلمين، وكل شيء تتوفر الدواعي لنقله لا بد وأن يكون متواترا. وعلى ذلك فما كان نقله بطريق الآحاد لا يكون من القرآن قطعا . نعم ذكر السيوطي: إنّ القاضي أبا بكر قال في الانتصار قال : ذهب

(١) ينظر: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص١٢٤ .
(٢) ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني ص٤٣٣.
(٣) المصدر نفسه ص٤٢٨.
(٤) ينظر: البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، ص١٢٤-١٢٥.

قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات القرآن حكما لا علما بخبر الواحد دون الاستفاضة وكره ذلك أهل الحق، وامتنعوا منه [١] .

وهذا القول الذي نقله القاضي واضح الفساد – للدليل المتقدم نفسه – وهو إنّ توفر الدواعي للنقل دليل قطعي على كذب الخبر إذا اختص نقله بواحد أو اثنين . فإذا أخبرنا شخص أو شخصان بدخول ملك عظيم إلى بلد، وكان دخول ذلك الملك إلى ذلك البلد مما يمتنع في العادة أنْ يخفى على الناس، فإنا لا نشك في كذب هذا الخبر إذا لم ينقله غير ذلك الشخص أو الشخصين، ومع العلم بكذبه كيف يكون موجبا لا ثبات الآثار التي تترتب على دخول الملك ذلك البلد . وعلى ذلك، فإذا نقل القرآن بخبر الواحد، كان ذلك دليلا قطعيا على عدم كون هذا المنقول كلاما إلهيا، وإذا علم بكذبه، فكيف يمكن التعبد بالحكم الذي يشتمل عليه . وعلى كل حال فلم يختلف المسلمون في أنّ القرآن ينحصر طريق ثبوته والحكم بأنّه كلام إلهي بالخبر المتواتر.

وبهذا يتضح أنّه ليست بين تواتر القرآن، وبين عدم تواتر القراءات أية ملازمة ؛ لأنّ أدلة تواتر القرآن وضرورته لا تثبت – بحال من الأحوال – تواتر قراءاته، كما أنّ أدلة نفي تواتر القراءات لا تتسرب إلى تواتر القرآن بأي وجه .

الثاني : إنّ الطريق الأفضل إلى إثبات عدم تواتر القراءات هو معرفة القراء أنفسهم، وطرق رواتهم، وهم سبعة قراء . وهناك ثلاثة آخرون تتم بهم العشرة[٢].

١ – ١ معنى القراءات :

القراءات لغة : جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ وقرأت الشيء أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، قال ابن الأثير : كل شيء جمعته فقد قراءته، وسمي القرآن قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض .[٣]وقال الرازي : قرأ الكتاب قراءة وقرآنا بالضم، وقرأ الشيء قرآنا بالضم أيضا جمعه وضمه، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٧] أي قراءته، وفلان قرأ عليك السلام

(١) الاتقان:للسيوطيج١ص٢٤٣.
(٢) ينظر البيان ص١٢٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث٣٠١٤.

وأقرأك السلام[1] وفي الاصطلاح : القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو لناقله . والمقرئ: العالم بها رواها مشافهة فلو حفظ اليسير مثلا ليس له أنْ يقرئ بما فيه إنْ لم يشافهه من شوفه به مسلسلا ؛ لأنّ في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة. والقارئ المبتدئ من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثا من القراءات. والمنتهي من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها [2].

قال السيوطي عند كلامه على تقسيم الإسناد إلى عال ونازل ما نصه: ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه. فالخلاف إنْ كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة ، أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة ، وإنْ كان للراوي عنه فرواية ، أو لمن بعده فنازلا فطريق ، أو لا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه فوجه [3] .

١-٢-حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف عند أهل السنة:

وأمّا وجه إنزال القرآن على هذه السبعة أحرف وما الذي أراد تبارك اسمه بذلك، فإنّه إنّما أنزل علينا توسعة من الله تعالى على عباده، ورحمة لهم، وتخفيفا عنهم عند سؤال النبي ﷺ إيّاه لهم، ومراجعته له فيه لعلمه ﷺ بما هم عليه من اختلاف اللغات، واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره، فخفّف تعالى عنهم وسهّل عليهم بأنْ أقرّهم على مألوف طبعهم وعادتهم في كلامهم.

والدليل على ذلك الخبر الوارد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال:(إنّ الله تعالى أمره أنْ يقرأ القرآن على حرف، فقال: ربّ خفّف عن أمّتي، فأمره أنْ يقرأ القرآن على سبعة أحرف) [4].

- وكذا حديث حذيفة عنه حين لقي جبرائيل عليه السلام فقال له: (إني أرسلت إلى أمّة أمّيّة) إلى آخره، فقال: (إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف) [5].

(١) مختار الصحاح /٢٢٠ .
(٢) منجد المقرئين / ٤٩ .
(٣) التفسير والمفسرون محمد هادي معرفة ص ٧٦.
(٤) جامع البيان للطبري ج١ ص١٠٧-١٠٨.
(٥) المصدر السابق ص١٠٧.

– وكذا الحديث الذي رواه الحكم بن عتبة عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبيّ عنه أنّ جبرائيل أتاه بأضاة بني غفار فقال: (إنّ الله يأمرك أنْ تقرأ القرآن على حرف واحد، فقال: (أسأل الله المعافاة والرحمة إنّ ذلك ليشقّ على أمّتي ولا يستطيعونه)، ثم أتاه الثانية فقال: (إنّ الله يأمرك أنْ تقرأ القرآن على حرفين» فقال له مثل ما قال في الأولى حتى انتهى إلى سبعة أحرف. قال: (فمن قرأ بحرف منها فقد أصاب) . ويمكن أنْ تكون هذه الأوجه السّبعة من اللغات، فلذلك أنزل القرآن عليها[١].

١ – ٣ نشأتها:

علم القراءات ولمحة عن القراء:

إنّ الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن لا يمكن أنْ يراد بها القراءات السبع المشهورة، وإنْ توهم الكثيرون من القدامى والمحدثين أنّ هذه القراءات هي هاتيك الأحرف. قال أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز»: «ظن قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث: هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنّما يظن ذلك بعض أهل الجهل[٢] .

ويقع أكبر قسط من اللوم في هذا الإيهام على عاتق الإمام الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس المشهور «بابن مجاهد[٣]، الذي قام على رأس الثلاثمائة للهجرة في بغداد بجمع سبع[٤] قراءات لسبع من أئمة الحرمين ، والعراقيين والشام ، اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة، وجاء جمعه لها محض مصادفة واتفاق، إذ كان في أئمة القراء من هم أجل منهم قدرًا، وكان عددهم لا يستهان به ؛ وعبارة القراءات السبع لم تكن قد عرفت في الامصار الاسلامية حين بدأ العلماء يؤلفون في القراءات[٥] ، وقد حظيت قراءات هؤلاء السبعة – من لدن ابن مجاهد– بشهرة واسعة وتوهم الكثيرون أنّها هي المراد من

(١) المصدر نفسه ص١٠٨.
(٢) وانظر الزرقاني على موطأ مالك ١/ ١٣٤.
(٣) كان شيخ القراء في بغدد في زمانه، توفي سنة ٣٢٤ «انظر طبقات القراء ١/ ٣٩؛ تاريخ بغداد ٥/ ١٤٤».
(٤) البرهان ١/ ٣٢٧.
(٥) مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح ص٢٤٧.

الأحرف السبعة التي ذكرت في الحديث النبوي. والحق أنّ ثمة ضابطا إذا توفر في قراءة ما وجب قبولها وبتوفر هذا الضابط وجد ما يسمى بالقراءات العشر. قال صاحب التلخيص القراءة – وتعني وجها من محتملات النص القرآني – مصطلح قديم، يرجع عهدها الى عهد الصحابة الاولين حيث عمد جماعة من كبار صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته الى جمع القرآن في مصاحف كعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، والمقداد بن الاسود وأضرابهم، وربما اختلفوا في ثبت النص أو في كيفية قراءته ومن ثم اختلفت مصاحف الصحابة الاولى، وكان كل قطر من أقطار البلاد الاسلامية تقرأ حسب المصحف الذي جمعه الصحابي النازل عندهم[1].

١-٤-القراءات والأحرف السبعة :

قد يتوهم البعض أنّ الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي القراءات السبع، فيتمسك لأثبات كونها من القرآن بالروايات التي دلت على أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فلابد لنا أنْ ننبه على هذا الغلط، ، وإنّ ذلك شئ لم يتوهمه أحد من العلماء المحققين هذا إذا سلمنا بصحة هذه الروايات ولم نتعرض لها بقليل ولا كثير . وسيأتي الكلام على هذه الناحية والأولى أنْ نذكر كلام الجزائري في هذا الموضع[2]. قال : « لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها، حتى قام الإمام أبو بكر أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد – وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد – فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقيين والشام، وهم : نافع وعبد الله ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر، وعاصم وحمزة، وعلي الكسائي . وقد توهم بعض الناس أنّ القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، وليس الامر كذلك . . . وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيه من الايهام . . . قال أحمد ابن عمار المهدوي : لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الامر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أنّ هذه القراءات هي المذكورة في الخبر.

وقال الإمام أبو محمد مكي : « قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة، وأجل قدرا من هؤلاء السبعة . . . فكيف يجوز أنْ يظن ظان أنّ هؤلاء السبعة

(١) تلخيص التمهيد ج١ص٢٣.
(٢) البيان الخوئي ص١٥٩.

المتأخرين، ان قراءة كل واحد منهم تمثل أحد الحروف السبعة المنصوص عليها – هذا تخلف عظيم – أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك وكيف يكون ذلك ؟ والكسائي إنّما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره – وكان السابع يعقوب الحضرمي – فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب[١]. وقال الشرف المرسي : « وقد ظن كثير من العوام أنّ المراد بها – الأحرف السبعة – القراءات السبع، وهو جهل قبيح »[٢]. وقال القرطبي : قال كثير من علمائنا كالداودي، وابن أبي سفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع، التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، إنّما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء[٣]. وتعرض ابن الجزري لإبطال توهم من زعم أنّ الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن مستمرة إلى اليوم . فقال : وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة، والثلاث عشرة بالنسبة إلى ما كان مشهورا في الاعصار الأول، قل من كثر، ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أنّ القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة، وغيرهم كانوا أمما لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر وهلم جرا . فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة وتوفي سنة (٢٢٤)وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية، جمع كتابا في قراءات الخمسة، ثم ذكر ابن الجزري جماعة ممن كتب في القراءة . فقال : وإنما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أنّ القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أنّ الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أنّ القراءات الصحيحة.

(١) التبيان:١/٨٢.
(٢) المصدر نفسه:٦١.
(٣) تفسير القرطبي:١/ ٤٦.

هي التي في « الشاطبية والتيسير »، وأنّها هي المشار إليها بقوله ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف، حتى أنّ بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنّه شاذ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذا، وربما كان كثير مما لم يكن في « الشاطبية والتيسير »، وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما، وإنّما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أنّ هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطأوه في ذلك، وقالوا : ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده، أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة . ثم نقل ابن الجزري – بعد ذلك – عن ابن عمار المهدوي، وأبي محمد مكي ما تقدم نقله عنهما آنفا »[1].

١–٥– الروايات التي أدعي دلالتها على القراءات عند أهل السنة نذكر بعضاً منها:

إنّ القرآن انزل على سبعة أحرف، فيحسن بنا أنْ نتعرض إلى التحقيق في ذلك بعد ذكر بعض هذه الروايات :

أ– ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى. إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[2].

ب– وَأَخْرَجَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا وَفِي رِوَايَةٍ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْسِلْهُ اقْرَأْ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «هَكَذَا أُنْزِلَتْ» ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ(٢٢).

ج– أَخْرَجَ مُسْلِمٌ نَحْوَهُ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَفِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِنِّي أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ

(١) النشر في القراءات العشر :١/٣٣–٣٧.
(٢) صحيح مسلم :٢/٢٠٢.

تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1].

د- وَأَخْرَجَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ فِي مُصَنَّفِهِ مِنْ حَدِيثِ الْقُبْرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ» أَمَّا مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ سَمُرَةَ يَرْفَعُهُ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِالسَّبْعَةِ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ[2].

٥ - أخرج الطبري عن يونس وأبي كريب، بإسنادهما عن ابن شهاب، بإسناده عن ابن عباس، حدثه أنّ رسول الله ﷺ قال : « أقرأني جبرئيل على حرف فراجعته، فلم أزل استزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » . ورواها مسلم عن حرملة عن ابن وهب عن يونس[3] ورواها البخاري بسند آخر[4] وروى مضمونها عن ابن البرقي بإسناده عن ابن عباس.

و- وأخرج عن أبي كريب، بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن جده عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فدخلنا جميعا على رسول الله ﷺ قال :

(فقلت يا رسول الله إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرءا، فحسن رسول الله ﷺ شأنهما، فوقع في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقا كأنما أنظر إلى الله فرقا فقال لي : يا أبي أرسل إلي أنْ اقرأ القرآن على حرف، فرددت عليه أنْ هون على أمتي، فرد علي في الثانية أنْ اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أنْ هون على أمتي، فرد علي في الثالثة انْ أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها . فقلت : اللهم اغفر لامتي . اللهم اغفر لامتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب

(١) مسند أحمد : رقم الحديث:٢٠٢٣٤.
(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن الزركشي ص١٢٣-١٢٤
(٣) صحيح مسلم:٢/٢٠٢.
(٤) صحيح البخاري:٦/١٠٠.

فيه إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم (عليه السلام). وهذه الرواية رواها مسلم أيضا بأدنى اختلاف[1]. وأخرجها الطبري عن أبي كريب بطرق أخرق باختلاف يسير أيضا .

ز- وأخرج عن عمرو بن عثمان العثماني، بإسناده عن المقبري عن أبي هريرة أنّه قال : قال رسول الله ﷺ : (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة).

ح- وأخرج عن عبيد بن أسباط، بإسناده عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ: (انزل القرآن على سبعة أحرف . عليم . حكيم . غفور . رحيم). وأخرج عن أبي كريب، بإسناده عن أبي سلمة عن أبي هريرة مثله .

ط- وأخرج عن سعيد بن يحيى، بإسناده عن عاصم عن زر عن عبد الله ابن مسعود قال: (تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا : خمس وثلاثون، أو ست وثلاثون آية . قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا يناجيه . قال : فقلنا إنّما اختلفنا في القراءة . قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال : إنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال : ثم أسر إلى علي شيئا . فقال لنا علي : إنّ رسول الله يأمركم أنْ تقرؤا كما علمتم)» وغيرها من الروايات[2].

١-٦- أدلة تواتر القراءات :

استدل القائلون بتواتر القراءات السبع بوجوه أهمها :

الأول : دعوى قيام الاجماع عليه من السلف إلى الخلف .

و فساد هذه الدعوى واضح فإنّ الاجماع لا يتحقق باتفاق أهل مذهب واحد عند مخالفة الآخرين .

الثاني : إنّ اهتمام الصحابة والتابعين بالقرآن يقضي بتواتر قراءته ، وإنّ ذلك واضح لمن أنتصف من نفسه وعدل .

الجواب : إنّ هذا الدليل إنّما يثبت تواتر القرآن نفسه ، لا تواتر كيفية قراءته، وخصوصا

(١) مسند أحمد :مسند الانصار رقم الحديث:٢٠٢٣٤-و٢٠٢٤٢.

(٢) ينظر البيان الخوئي ص١٧٣-١٧٥ و جامع البيان للطبري ج١ص٢٧- ٢٨.

مع كون القراءة عند جمع منهم مبتنية على الاجتهاد ، أو على السماع ولو من الواحد . ولولا ذلك لكان مقتضى هذا الدليل أنْ تكون جميع القراءات متواترة، ولا وجه لتخصيص الحكم بالسبع أو العشر . وأنّ حصر القراءات في السبع إنّما حدث في القرن الثالث الهجري، ولم يكن له قبل هذا الزمان عين ولا أثر، ولازم ذلك أنْ نلتزم إمّا بتواتر الجميع من غير تفرقة بين القراءات ، وإمّا بعدم تواتر شيء منها في مورد الاختلاف، والأول باطل قطعا فيكون الثاني هو المتعين.

الثالث : إنّ القراءات السبع إذا لم تكن متواترة فلم يكن القرآن متواترا والتالي باطل بالضرورة فالمقدم مثله .

ووجه التلازم أنّ القرآن إنّما وصل إلينا بتوسط حفاظه، والقراء المعروفين، فإنّ كانت قراءاتهم متواترة فالقرآن متواتر، وإلاّ فلا . وعليه فلا محيص من القول بتواتر القراءات .

الجواب :

١ – إنّ تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ؛ لأنّ الاختلاف في كيفية الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها، ولهذا نجد أنّ اختلاف الرواة في بعض ألفاظ قصائد المتنبي – مثلا– لا يصادم تواتر القصيدة عنه وثبوتها له، وإنّ اختلاف الرواة في خصوصيات هجرة النبي لا ينافي تواتر الهجرة نفسها[1].

٢ – إنّ الواصل إلينا بتوسط القراء إنّما هو خصوصيات قراءاتهم . وأمّا أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف . وتحفظهم على ذلك في صدورهم وفي كتاباتهم، ولا دخل للقراء في ذلك أصلا ؛ ولذلك فإنّ القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا أنّ هؤلاء القراء السبعة أو العشرة لم يكونوا موجودين أصلا . وعظمة القرآن أرقي من أنْ تتوقف على نقل أولئك النفر المحصورين.

الرابع : إنّ القراءات لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر مثل « ملك » و « مالك »

(١) البيان في تفسير القرآن:ص١٥٥-١٥٦

الجواب :

١ – إنّ مقتضى هذا الدليل الحكم بتواتر جميع القراءات، وتخصيصه بالسبع أيضا تحكم باطل . ولا سيما أنّ في غير القراء السبعة من هو أعظم منهم وأوثق، كما اعترف به بعضهم . ولو سلمنا أنّ القراء السبعة أوثق من غيرهم، وأعرف بوجوه القراءات، فلا يكون هذا سببا لتخصيص التواتر بقراءاتهم دون غيرهم . نعم ذلك يوجب ترجيح قراءاتهم على غيرها في مقام العمل، وبين الأمرين بعد المشرقين، والحكم بتواتر جميع القراءات باطل بالضرورة .

٢ – إنّ الاختلاف في القراءة إنّما يكون سببا لالتباس ما هية القرآن بغيره، وعدم تميزه من حيث الهيئة أو من حيث الاعراب، وهذا لا ينافي تواتر أصل القرآن، فالمادة متواترة وإنْ اختلف في هيئتها أو في إعرابها، وإحدى الكيفيتين أو الكيفيات من القرآن قطعا وإنْ لم تعلم بخصوصها [1].

٢ – ١ – أقوال النافين لتواتر القراءات :

هناك أقوال عدة ذكرها أهل السنة لنفي تواتر القراءات ، فضلا عن الروايات والأقوال الكثيرة عند الشيعة التي تفسر معنى القراءات نذكر منها ما يأتي :

(أ) قال ابن الجزري : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمال، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة سواء كانت من السبعة أم عمن هو أكبر منهم .

هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف . صرح بذلك الامام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحققه الامام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه .

(١) المصدر السابق:ص١٥٧

(ب) قال ابن الجزري أيضا : وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أنّ القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وإنّ ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن . هذا مما لا يخفى ما فيه، فإنّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله، وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه ، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف، الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم . ولقد كنت – قبل – أجنح إلى هذا القول، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف »[1].

(ج) قال أبو شامة في كتابه المرشد الوجيز : فلا ينبغي أنْ يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وإنّها هكذا أنزلت، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط، وحينئذ لا يتفرد بنقلها مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عن غيرهم من القراء فذلك لا وقد رأينا من المناسب أنْ نذكر من كلمات خبراء الفن ممن صرح بعدم تواتر القراءات ليظهر الحق في المسألة بأجلى صوره :

(هـ) قال البلاغي: إنّ القراءات السبع – فضلا عن العشر– إنّما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة ولا نقيصة ، ومع ذلك ماهي إلاّ روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئنانا ولا وثوقا ، فضلا عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة[2].

(و) قال معرفة: إنّ اثبات تواتر القراءات عن النبي ﷺ شيء يبدو مستحيلا :

أولا: لا دليل على ذلك ودون اثباته تسكب العبرات على حد تعبير أبي شامة.

ثانيا: ان لاختلاف القراءات عوامل ذاتية كانت هي السبب لنشوء الخلاف بين القراء

ثالثا: إنّ أسانيد القراء الى النبيﷺأسانيد آحاد موجودة في كتب القراءات ولم يكن شيء منها متواترا حسب المصطلح[3].

(ز) قال الجزائري :إنّه لم يقع لأحد من الائمة الاصوليين تصريح بتواتر القراءات وقد

(١) ينظر البيان ص١٥١-١٥٤.
(٢) التبيان :ص١٠٦طبعة المنار ١٣٣٤هـ .
(٣) مفتاح الكرامة :ج٢ص٣٩٢- ٣٩٣.

صرح بعضهم بإنّ التحقيق في القراءات السبعة متواترة عن الأئمة السبعة أمّا تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر فإنّ اسناد الائمة السبعة بهذه القراءات موجود في الكتب وهي نقل الواحد عن الواحد [1].

(ح) قال الزمخشري :إنّ القراءة الصحية التي قرأ بها رسول الله ﷺ انّما هي في صفتها وهي واحدة والمصلي لا تبرأ ذمته من الصلاة إلاّ إذا قرأ فيها ، لا ما وقع فيه الاختلاف على كل الوجوه كـ (ملك ومالك) و(صراط وسراط) وغير ذلك ....ونقل معرفة عن العاملي: وكلامه هذا أمّا مسوق لإنكار التوتر اليه t، أو انكار لأصله [2] ونقل أيضا عن أبي العباس المرسي حول الاقوال التي نقلها السيوطي والتي تبلغ خمسة وثلاثين وجها ، وهذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمن نقلت ؟ ولا أدري لم خص كلّ واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ثم قال: وقد ظنّ كثير من العوام أنّ المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح [3].

٢-٢مناقشة الروايات سندا ومتنا :

قد تقدم إجمالا أنّ المراجع بعد النبي ﷺ في أمور الدين، إنّما هو كتاب الله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ولا قيمة للروايات إذا كانت مخالفة لما يصح عنهم ؛ ولذلك لا يهمنا أنْ نتكلم عن أسانيد هذه الروايات وهذا أول شئ تسقط به الرواية من الاعتبار والحجية . فضلا عمّا عُرف عن هذه الروايات من التخالف والتناقض، وما في بعضها من عدم التناسب بين السؤال وتهافت الروايات : فمن التناقض أنّ بعض الروايات دلّ على أنّ جبرئيل أقرأ النبي ﷺ على حرف فاستزاده النبي ﷺ فزاده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف، وهذا يدل على أنّ الزيادة كانت على التدريج، وفي بعضها أنّ الزيادة كانت مرة واحدة في المرة الثالثة، وفي بعضها أنّ الله أمره في المرة الثالثة أنْ يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف، وكان الأمر بقراءة سبع في المرة الرابعة . ومن التناقض أنّ بعض الروايات يدل على أنّ الزيادة كلها كانت في مجلس واحد، وأنّ طلب النبي ﷺ الزيادة كان بإرشاد ميكائيل،

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم الدكتور محمد محمد أبو شهبةص٢١٢.
(٢) تلخيص التمهيد محمد هادي معرفةج١ص٢٥٥.
(٣) المصدر نفسه ص٢٨١.

فزاده جبرئيل حتى بلغ سبعا، وبعضها يدل على أنّ بعضها يدلّ على أنّ جبرئيل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة ومن التناقض أنّ بعض الروايات يقول : إنّ (أبي) دخل المسجد، فرأى رجلا يقرأ على خلاف قراءته وفي بعضها أنه كان في المسجد، فدخل رجلان وقرءا على خلاف قراءته وقد وقع فيها الاختلاف أيضا فيما قاله النبي ﷺ لأبي . إلى غير ذلك من الاختلاف ومن عدم التناسب بين السؤال والجواب، أمّا في رواية ابن مسعود من قول علي عليه السلام إنّ رسول الله ﷺ يأمركم أنْ تقرأوا كما علمتم فإنّ هذا الجواب لا يرتبط بما وقع فيه النزاع من الاختلاف في عدد الآيات . أضف إلى جميع ذلك أنّه لا يرجع نزول القرآن على سبعة أحرف إلى معنى معقول، ولا يتحصل للناظر فيها معنى صحيح[١] .

يُعضد ذلك ما ذهب إليه طه حسين من أنّ مصدر القراءات هو اللهجات، قال وقفة لا بدّ منها ذلك أنّ قوما من رجال الدين فهموا أنّ هذه القراءات السبع ، والحق أنّ هذه القراءات السبع ليست من الوحى فى قليل و لا كثير و ليس منكرها كافرا ، ولا فاسقا ، ولا مغتمزا فى دينه[٢].

و إنّما هى قراءات مصدرها اللهجات و اختلافها ... فأنت ترى أنّ هذه القراءات التى عرضنا لها ما هي إلاّ مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات ، وأن التواتر اتفاق جمع من الرواة أو الناس يمنع العقل- أو العادة- تواطؤهم على الكذب و كل ما للحديث من علاقة بالقراءات هى محاولة بعض العلماء تفسير الاحرف السبعة الوارد ذكرها فى الحديث بالقراءات السبع ليثبت أنّها قرآن منزل[٣] و جاء فى الاتقان : قال قوم من المتكلمين: إنّه يسوغ اعمال الرأي و الاجتهاد فى اثبات قراءة و أوجه وأحرف اذا كانت تلك الأوجه صوابا فى العربية، و إنْ لم يثبت أنّ النبى ﷺ قرأ بها. و أبى ذلك أهل الحق و أنكروه و خطّأوا من قال به و الرأي بأنّ القراءة اجتهاد مخالف لما عليه المسلمون عامة علما وعملا، و ذلك كاف في رده [٤].

(١) نظر البيان في تفسير القرآن ص١٧٨.
(٢) القراءات القرآنيةص٤٩.
(٣) القراءات القرآنيةص٤٩ -٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ص٤٩.

٢-٣- معنى الاحرف السبعة في روايات أهل البيت عليهم السلام :

نذكر روايتين وردتا عن ائمة أهل البيت عليهم السلام - خشية الاطالة - تبينان معنى الاحرف السبعة الواردة في الاحاديث ، ونبين عن طريقهما غير ما يقول به أهل السنة من تفسيرهم للروايات الوردة عندهم وهما:

١- حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدثنا محمد ابن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن محمد بن يحيى الصيرفي، عن حماد ابن عثمان قال : قلت لأبي

عبد الله عليه السلام: إنّ الأحاديث تختلف عنكم قال : فقال : (إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للأمام أنْ يفتي على سبعة وجوه، ثم قال : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)[١]. وفسرّ العلماء الأحرف في هذا الحديث بمعنى البطون أي كل آية تحتمل وجوها من المعنى وإنْ كانت ربما تخفى على العامة لكن الامام المعصوم عليه السلام يعرفها فيفتي عليها[٢].

٢- حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن هلال عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني آت من الله فقال :(إنّ الله عز وجل يأمرك أنْ تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت : يا رب وسع على أمتي فقال : إنّ الله عز وجل يأمرك أنْ تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت : يا رب وسع على أمتي فقال : إنّ الله عز وجل يأمرك أنْ تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت يا رب وسع على أمتي فقال : إنّ الله يأمرك أنْ تقرأ القرآن على سبعة أحرف . خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين)[٣] ، والاحرف في هذا الحديث هي اللهجات العربية المختلفة[٤]. قال المحدث الفيض الكاشاني : والتوفيق بين هذه الروايات أنْ يقال :إنّ للقرآن سبعة أقسام من الآيات وسبعة بطون من المعاني ، لكل آية ونزل على سبع لغات – أي جهات[٥].

(١) الخصال: باب السبعة رقم ٤٣ ج٢ ص٣٥٨.
(٢) تلخص التمهيد ج١ ص٢٨٤.
(٣) الخصال: باب السبعة رقم ٤٤ ج٢ ص٣٥٨.
(٤) المصدر السابق ص٢٨٥.
(٥) تفسير الصافي ج١ صق٤٠ المقدمة الثامنة.

٢-٤- أوجه الاختلاف :

نقل الفضلي بعض الوجوه عن سبب اختلاف القراءات عن طريق الاستقراء حيث قال : قام كل من ابن قتيبة والفخر الرازي وابن الجزري، وامام آخر- لم تذكر المصادر اسمه- حكى عنه الباقلاني، باستقراء القراءات على اختلاف أنواعها، محاولين حصر وجوه الخلاف فيها و قد انتهت محاولات الجميع الى أنّ أوجه الاختلاف فى القراءات منحصرة بالتالي :

١- الاختلاف فى حركات الكلمة بلا تغير فى معنى الكلمة وصورتها نحو (وَيَضيقُ صَدْرِي).

٢ - حيث قرئ برفع (يضيق) ونصبها، ونحو (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) حيث قرئ برفع (أطهر) و نصبها الاختلاف فى الحركات مع تغيير المعنى و بقاء الصورة- نحو: ﴿وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾[آل عمران :٣٧] فقد قرئ بتخفيف الفعل ورفع (زكريا) ، وقرئ بتشديد الفعل ونصب زكريا .

٣ – الاختلاف في حروف الكلمة مع تغير معنى الكلمة وبقاء صورتها نحو ﴿انْظُرْ الى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ﴾ [البقرة:٢٥٩] حيث قرأ ننشزها بالزاي المعجمة وقرأ ننشرها بالراء المهملة .

٤- الاختلاف فى الحروف مع تغير الصورة و بقاء المعنى. نحو: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [آل عمران: ٣٧] حيث قرئت (كالصوف المنفوش)، و نحو: ﴿زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الاعراف:٦٩]بالسين المهملة و (بصطة) بالصاد المهملة.

٥- الاختلاف فى الحروف مع تغير المعنى و تغير الصورة. نحو: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الواقعة :٢٩]حيث قرئ (و طلح) بالحاء المهمله و قرئ (و طلع) بالعين المهمله.

٦- الاختلاف فى التقديم و التأخير. نحو: ﴿وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَق ﴾ [ق:١٩] حيث قرأت (وجاءت سكرة الحق بالموت) ﴿فَأَذاقَهَا اللهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ﴾[النحل:١١٢] الذي قرئ أيضا (فأذاقها الله لباس الخوف و الجوع).

٧ – الاختلاف فى الزيادة و النقصان. نحو: (و ما عملت أيديهم) الذي قرئ أيضا ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ [ال عمران :٣٥] ، وهذا الكلام لا ينسجم مع ما قاله أكثر أهل السنة وإنّما هو تأويل منه.

٢ – ٥ – تفنيد نفي التواتر:

الأول : إنّ استقراء حال الرواة يورث القطع بأنّ القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد، وقد اتضح ذلك فيما أسلفناه في تراجمهم ، فكيف تصح دعوى القطع بتواترها عن القراء على أنّ بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته .

الثاني : إنّ التأمل في الطرق التي أخذ عنها القراء، يدلنا دلالة قطعية بأنّ هذه القراءات إنّما نقلت إليهم بطريق الآحاد .

الثالث : اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كان رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإنّ كل قارئ إنّما ينقل قراءته بنفسه .

الرابع : احتجاج كل قارئ من هؤلاء على صحة قراءته ، واحتجاج تابعيه على ذلك[١].

٢–٦– موقف الشيعة من حديث الاحرف السبعة :

تبيّن لنا أنّ موقف الشيعة من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بما يفسره أهل السنّة غير صحيح ، وإنّ المشهورعنها إنّها لهجات. قال الخوئي : إنّها أحاديث مضطربة متناقضة وإنّها ضعيفة السند ومخالفة لصحيحه ؛ روى زرارة بن أعين عن ابي جعفر قال: إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة ، وإنّ الصادق عليه السلام يكذب الرواية المشهورة بين الناس نزل القرآن على سبعة أحرف وقال : ولكنه نزل عل حرف واحد من عند الواحد[٢].

النتائج الكلية:

١ – إنّ الاختلاف في القراءة كان نقمة على الأمة ، وقد ظهر ذلك في عصر عثمان فكيف يصح أنْ يطلب النبي صلى الله عليه وآله من الله ما فيه فساد الأمة ، وكيف يصح على الله أنْ يجيبه الى ذلك؟

(١) ينظر البيان في تفسير القرآن ص١٤٩–١٥١ .
(٢) ينظر المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد محمد ابوشهبة.ص٢١٣.

وقد ورد في كثير من الروايات النهي عن الاختلاف وإنّ فيه هلاك الأمة . وفي بعضها أنّ النبي ﷺ تغير وجه وأحمر حين ذكر له الاختلاف في القراءة . وقد تقدم جملة منها.

٢- قد تضمنت الروايات المتقدمة إنّ النبي ﷺ قال إنّ امتي لا تستطيع ذلك (القراءة على حرف واحد) وهذا كذب صريح لا يعقل نسبته الى النبي ﷺ ؛ لأنّنا نجد الأمة بعد عثمان على اختلاف عناصرها ولغاتها ، قد استطاعت أنْ تقرأ القرآن على حرف واحد فكيف يكون من العسر عليها أنْ تجتمع على حرف واحد في زمان النبي ﷺ وقد كانت الأمة على سليقتها وطبعها الفصيح ؟

٣- إنّ الاختلاف الذي أوجب لعثمان أنْ يحصر القراءة في حرف واحد قد اتفق في عصر النبي ﷺ وقد أقرّها كلّ قاريء على قراءته ، وأمر المسلمين بالتسليم لجميعها وأعلمهم ﷺ بأنّ ذلك رحمة من الله لهم فكيف صحّ لعثمان ولتابعيه سد باب الرحمة مع نهيه ﷺ عن منع قراءة القرآن ، وكيف جاز للمسلمين رفض قول النبي ﷺ وأخذ قول عثمان ، وامضاء عمله ؛ فهل وجدوه أرأف بالأمة من نبيها ، أو أنّه تنبه لشيء قد جهله النبي ﷺ من قبل وحاشاه ، أو أنّ الوحي قد نزل على عثمان بنسخ تلك الحروف؟ [١] ؛ وعليه فإنّ بشاعة هذا القول تغني عن التكليف عن رده وهذه هي العمدة في رفض المتأخرين من علماء اهل السنة لهذا القول . ولأجل ذلك قد التجأ بعضهم كأبي جعفر محمد بن سعدان النحوي والحافظ جلال الدين السيوطي الى القول : بأنّ هذه الروايات من المشكل والمتشابه وليس يدرى ما هو مفادها [٢].

٤- إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف لا يرجع إلى معنى صحيح نتيجة لمعارضتها أحاديث الصادقين ﷺ الدالة على تكذيبها ، وإنّ القرآن إنّما نزل على حرف واحد ، وإنّ الاختلاف قد جاء من قبل الرواة . وقد ظنّ جماعة ممن لا خبرة له بأصول هذا العلم أنّ قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله : «أُنزل القرآن على سبعة أحرف»، فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف من تلك الأحرف ، ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنّه قال ذلك [٣].

(١) علوم القرآن عند المفسرين مركز الثقافة والمعارف القرآنية الجزء الثاني ص.٢٢٩

(٢) التبيان ص٦١.

(٣) المرشد الوجيز في علوم المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، ط٢ المطبعة سارة ، ١٤٢٩ق.

٣. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهار بن عبد الله الزركشي، دار الكتب العلمية-، بيروت ط٢ ، ٢٠١١ .

٤. البيان في تفسير القرآن ، الخوئي ، دار الثقلين ، قم ، ط١٤١٨٣ هـ.

٥. التبيان ، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ط١ الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، ت٤٦٠هـ.

٦. تفسير الصافي ، محمد بن مرتضى الكاشاني ،ط١ ، سنة النشر ١٤١٦هـ ، الناشردار الكتب الاسلامية ، ايران- طهران.

٧. تفسير القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد ، ت ٦٧١، دار الكتب المصرية ، القاهرة.

٨. تلخيص التمهيد ، محمد هادي معرفة ، مؤسسة النشر الاسلامي ، ط٩ ،١٤٣٦هـ.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، ت٣١٠ ، مؤسسة الرسالة.

١٠. صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي ، ط١ سنة الطبع ١٤١٢هـ ، دار طوق النجاة المحقق زهير بن ناصر الناصر.

١١. صحيح مسلم المسند الصحيح ، مسلم ابو الحجاج بن الحسن٢٦١هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢. علوم القرآن عند المفسرين ، تأليف مركز الثقافة والمعارف القرآنية ، الناشر مؤسسة بوستان كتاب مطبعة مؤسسة بوستان ، ط٢ ، ١٤٢٨ق.

١٣. القراءات القرآنية تأريخ وتعريف ، عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، مركز القائمية بأصفهان للتحريكات الكمبيوترية.

١٤. مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت.

١٥. المدخل لدراسة القرآن ، محمد محمد أبو شهبة ، .ط٣ ، السعدية الرياض ، دار الولاء ،١٤٠٧ -١٩٨٧.

١٦. المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، ابو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم، ت٦٦٥ هـ ، المحقق طيار آلتي قولاج ، الناشر دار صادر ، بيروت.

١٧. مسند احمد احمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت.

١٨. مفتاح الكرامة ، السيد محمد جواد العاملي، ط١ سنة الطبع١٤١٩، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، بقم.

١٩. مناهل العرفان الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، ط٣ ت١٣٦٧ ، مطبعة عين البابي الحلبي.

٢٠. النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت: ٦٠٦هـ ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

٢١. مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبد الكريم بن الاثير الرازي.

٢٢. منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ت: ٨٣٣هـ الناشر: دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٢٠هـ -١٩٩٩، متتعلق بالكتاب العزيزص١٤٦.

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ